أ/ سهام عماد.

أستاذ(ة) محاضر –ب–.

جامعة يحي فارس بالمدية.

ammadsih@gmail.com

لمحة عن نشأة أدب الطفل وتطوره في العالم.

مقدمة:

اختلف الباحثون في نشأة أدب الطفل ؛ إذ عده البعض أدبا حديثا لم يعرف إلا منذ قرنين من الزمان، وعده البعض الآخر أدبا قديما قدم الأمومة والطفولة، ومن هنا نحاول الوقوف على أهم المحطات والإرهاصات التي سبقت نشأة أدب الأطفال ومهدت له؛ لكي يكون ظاهرة فنية كبيرة فيم بعد، وكذا التعرف على أهم الشعوب التي أسهمت في ظهور وتطور هذا النوع من الأدب، محاولينا الإجابة عن إشكالية يتمثل منطلقها ومحور اشتغالها فيم يلي: كيف ظهر أدب الأطفال في العالم؟ وما أبرز الحضارات و الأمم التي عنيت بهذا اللون من الأدب ؟ ومن أهم الرواد والأقطاب الذين أسهموا في تطوره عبر العصور؟

ومن هنا جاء عنوان مداخلتنا موسوما بـ " **لمحة عن نشأة أدب الطفل وتطوره في العالم** "، وهي تندرجضمناشكالاتالمحور الأول.

تمهيد:

حيثما توجد أمومة وطفولة آدمية يوجد بالضرورة (أدب الأطفال) بقصصه وحكاياته وترانيمه، وأغانيه، وأساطيره، وفكاهاته، لا يخرج على هذا القانون الطبيعي للغة، ولا يشذ عنه جنس، غير أنّ الإنسان وهو يسعى على درب الزمن الطويل في بدايته الأولى منفردا في الغابات والكهوف، ثم في مجموعاته القبلية، وحتى في مراحل تكوينه الأمم والمجتمعات وتنظيم الدول والأحلاف، لم تكن المجتمعات الانسانية تهتم بالطفل إلا بالقدر الذي يؤهله لكي يكون قادرا على تحمل مسؤليته اتجاه ذلك المجتمع الذي نشأ فيه، من المشاركة في بناء حضارته، وفي حمايته من أعدائه، أو فرض سلطانه على الآخرين، ومن ثم كان أسلوب المجتمعات في تنشئة الطفل يختلف خشونة ولينا تبعا لاختلاف المسؤولية التي ينتظرها الجيل الجديد[1].

وقد يكون عجيبا أنّ الأمم القديمة ذات الحضارات الراسخة والآداب الرفيعة لم تهتم بتسجيل حياة الطفولة عندها أو آداب أطفالها لذاتهما، وما وصلنا من هذه أو ذلك وهو قليل نادر، إنما كان متصلا بعمل من أعمال الكبار، اللهم إلا مصر القديمة فقد كانت –فيما وصل إلى العالم الحديث حتى الآن من آثار– الوحيدة من بين الأمم القديمة التي سجلت حياة الطفولة وأدب الأطفال؛سجلتهما في نقوش وصور على جدران القصور والقبور، وكتبتهما في برديات بقيت على مر السنين لنعرف منها أنّ الأطفال من ألوف السنين كانوا كما هم الآن لا تختلف تصرفاتهم عن تصرفات أطفال عصرنا الحديث، ولا تفترق كثير من لعبهم عن لعب أولادنا رغم مابين العصور القديمة وعصرنا الحديث من تباين شديد واختلاف كبير.[2]

لكن أدب الأطفال بمفهمومه الحالي لم يتبلور إلا في بدايات القرن السابع عشر، وتعتبر (حكايات أمي الأوزة) و (حكايات سندريلا) و (الجميلة النائمة) والتي كتبها الشاعر الفرنسي الكبير تشارلز بيرو عام 1697م، تعتبر تلك الحكايات هي أول قصص الأطفال بالمعنى العلمي.[3]

I. أدب الأطفال في العالم الغربي:

أولا/ أدب الأطفال في بعض الدول الأوروبية:

---

[1]) علي الحّديدي: في أدب الأطفال، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، 1988، ص39.

[2]) المرجع نفسه، ص40.

[3]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1425هـ/ 2004م، ص24.

نستعرض هنا جذور أدب الأطفال في بعض الدول التي كان لها السبق في هذا المجال.

1-أدب الأطفال في فرنسا:

ظهر أدب الأطفال في العصر الحديث في فرنسا، وذلك في القرن السابع عشر، وكان الكاتب لايكتب اسمه خشية الحط من قدرته أمام الناس، إلى أن جاء الشاعر (الفرنسي تشارلز بيرو)، وكتب قصصا للأطفال بعنوان (حكايات أمي الأوزة) وكتب له اسما مستعارا لكن لاحظ الإقبال الشديد على قصصه فألف مجموعة أخرى بعنوان (أقاصيص وحكايات الماضي) وكتب اسمه واضحا.[1]

وفي نفس السياق يرى الدكتور علي الحّديدي أنّ انتشار القصص الشعبي الشرقي، وحكايات ألف ليلة وليلة في أوروبا في القرن السابع عشر، دفع الأوروبيين إلى أن يبحثوا في تراثهم عن مثيل لهذا اللون من الأدب، ومن ثم يغلب على الظن أنّ ظهور (أدب الأطفال في فرنسا مدونا أواخر القرن السابع عشر كان أثرا غير مباشر (لألف ليلة وليلة). ولم تكن الكتابة للأطفال في هذه الفترة مألوفة أو مستساغة بين الأدباء؛ بل كان يظن أنها تنزل من قدر الأديب أو الفنان، ومن ثم تحاشاها الكتاب حتى جاء (تشارلز بيرو) الشاعر الفرنسي الكبير وعضو الأكاديمية الفرنسية فكتب مجموعة قصص للأطفال بأسلوب سهل ميسور سماها (حكايات أمي الأوزة) ، وتشارلز بيرو فوق أنه شاعر فهو جامع حكايات ونوادر شعبية من الطراز الأول، وقد آثر خوفا على (مجده الأدبي) ألا ينسب هذه المجموعة القصصية لنفسه واستعار اسما لها اسم ابنه (بيرو دار مانكور) ولكن الأصل الذي كتبه الشاعر الكبير بخط يده بقي بعد وفاته، وعرف منه أنه هو مؤلف القصص[2].

والإقبال الكبير على قراءة (حكايات أمي الأوزة)، والشهرة الواسعة التي نالتها لدى الصغار والكبار على السواء، جعلت (تشارلز بيرو) يخرج مجموعة أخرى سماها (أقاصيص وحكايات الزمان الماضي) ونسبها لنفسه هذه المرة، فلم تعد الكتابة للأطفال حطة في شأن الأديب، بل عملا يفتخر به الكاتب حين تطبق شهرته الآفاق. استمد (بيرو) حكاياته من الشعب نفسه، ولكنه أضفى عليها طابعه الفني الغني برشاقة ورهافة الإحساس، وتعتبر مجموعة (حكايات أمي الأوزة) ومنها حكاية الجنية، والقط ذو الحذاء الطويل، واللحية الزرقاء، والجميلة النائمة، وسندريلا أول مراحل التكوين (لأدب الأطفال) في عصور التاريخ الحديث؛ لأنّها أول قصص تكتب إبتداء للأطفال بقصد التسلية والإمتاع والمؤانسة. وفوق ما نالته هذه المجموعة من شهرة واسعة في فرنسا فإنها كانت ذات

---

[1]) عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم و تثقيفهم، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأدرن، 2005م، ص94.

[2]) علي الحّديدي: في أدب الأطفال، ص47.

أثر كبير في حكايات الأطفال والقصص الشعبي في ألمانيا وإنجلترا بعد أن ترجمت إلى لغتيهما، وقادت الأدباء إلى البحث والتنقيب في الآداب الشعبية الأوروبية. [1]

وبعد (بيرو) لم يعن أحد في فرنسا لفترة طويلة بإخراج قصص خيالية للأطفال، اللهم إلا محاولات مبتسرة كانت تقوم بها السيدات، وقد ضمت هذه الحكايات بعضها إلى بعض في مجموعة رائعة فكونت في النهاية واحدا وأربعين جزءا وأطلق عليها اسم (مجمع الجان). ثم كان القرن الثامن عشر عصر العقل والاستنارة، ولم تكن الحكاية الخرافية تتلاءم كلية مع مزاج هذا العصر؛ ذلك لأنّ الحكاية الخرافية ليست منطقية وإنما هي خيالية، وغير غنية بالمغزى ولا يسودها النظام، وإنما هي فيما يبدو خلط لا شكل له ولا بنية.[2]

وبعد تشارلز بيرو جاءت محاولات كتابية للأطفال من قبل سيدة فرنسية اسمها (لبرتس) ومن قصصها (مخزن الأطفال)، وظهرت كتابة أدب الأطفال بشكل جديد في فرنسا في القرن الثامن عشر وذلك بظهور (جان جاك روسو) ؛ حيث ساعدت كتاباته– جان جاك روسو– الخاصة بتربية الطفل على إرساء أسس ومبادئ خاصة بالكتابة للأطفال[3]؛ حيث انتشرت آراؤه في تعليم الأطفال وتربيتهم تربية استقلالية طبيعية تؤهلهم في اعتقاده لتكوين الشخصية القوية المكتسبة من تجاربهم الذاتية. ووجه كتابه (إميل) الأنظار إلى الاهتمام بدراسة الطفل كفرد مستقل. ولقيت آراء (روسو) قبولا حسنا وتأييدا كبيرا في فرنسا وغيرها من دول أروبا.[4]

وفي فرنسا أيضا كان الشاعر الكبير (لافونتين)، والذي خاطب الأطفال بلغة الشعر وأطلق عليه (أمير الحكاية الخرافية في الأدب العالمي)، وتأثر به كثيرا شاعرنا الكبير أحمد شوقي.[5]

وبين عامي 1747–1791م ظهرت في فرنسا أول صحيفة للأطفال أنشأها أديب لم يفصح عن اسمه، واتخذ لنفسه اسما مستعارا هو (صديق الأطفال)، وأطلق نفس الاسم على الصحيفة، وخالف الأديب في كتاباته للأطفال منهج أتباع (روسو)، وامتازت كتاباته بالسهولة والرشاقة، ونقل عن طريق الصحيفة إلى أطفال فرنسا قصص الأطفال من البلاد الأخرى ومن اللغات المختلفة، وكانت (صديق الأطفال) أول مجلة في تاريخ (أدب الأطفال)، واستطاعت أن تسد فراغا كبيرا في ميول الصغار، وأن تشبع رغبتهم في القراءة المسلية الممتعة بعيدا عن

---

[1]) علي الحّديدي: في أدب الأطفال، ص47–48.

[2]) المرجع نفسه، ص48.

[3]) عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم و تثقيفهم، ص94.

[4]) علي الحّديدي: في أدب الأطفال، ص48.

[5]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص24.

النصائح والإرشادات الأخلاقية والتعليمية. وكانت هذه المجلة بعثا لحركة الكتابة للأطفال وهي التي تهدف قبل كل شيء إلى التسلية والمتعة وإثراء الخيال، ثم أخذت هذه الحركة بعد ذلك في التقدم والازدهار.[1]

2- أدب الأطفال في إنجلترا:

كانت إنجلترا أيضا من الدول السباقة في الإهتمام بأدب الأطفال، فكلنا يذكر ويتذكر (رحلات جاليفر) التي كتبها الكاتب الساخر (جاناثان سويفت) (1667-1745م) والتي ترجمت إلى معظم لغات العالم وتحولت إلى أفلام سينمائية وكارتونية وهي قصة خيالية تجسد شخصية جاليفر، ذلك العالم المغامر المتطلع دائما إلى المستقبل وخاصة فيم وراء البحار، وفي رحلاته يهبط تارة في بلاد الأقزام وتارة أخرى في بلاد العمالقة، ومرة ثالثة في عالم غريب به أناس أنصافهم السفلى من الحيوانات، وأنصافهم العليا من البشر، وفي كل ذلك لا يستقر له بال، ولا تتحقق له سعادة.[2]

وجدير بالذكر أنّ (جاناثان سويفت) لم يكتب قصته هذه خصيصا للأطفال، ولكنها بما تحمله من مغامرات ومواقف مثيرة أقرب إلى نفسية الطفل وعالمه الخاص، إلى أنّ (جون بتوبرى) (1713-1767م) أعاد صياغتها بما يلائم لغة الأطفال.[3]

ويرى بعض الباحثين أنّ قصة دانيال ديفو (1660-1731م) التي صدرت عام 1719م بعنوان (روبنون كرسو) تعتبر بداية للفن القصصي الحديث في إنجلترا، وتعتمد تلك القصة أيضا على الخيال والمغامرات.

ثم نأتي إلى قصة (أليس في بلاد العجائب) والتي أصدرها (لويس كارول) (1833-1898م) والتي تعتبر أشهر القصص الإنجليزية التي كتبت للأطفال مباشرة.

وقد تطور أدب الأطفال في إنجلترا مع بدايات القرن 20م، ودخل في هذا المجال العديد من الكتاب العظماء أمثال ميتر ديكسون، تشارلز دينكز، وجورج إليوت.[4]

---

[1]) علي الحّديدي: في أدب الأطفال، ص49.

[2]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص24.

[3]) المرجع نفسه، ص24.

[4]) المرجع نفسه، ص25.

ويعد تشالز لوتويدج دودجس المعروف باسم لويس كارول صاحب أشهر قصة للأطفال في اللغة الإنجليزية ، بل لعلها من أشهر القصص التي احتلت الصدارة في التاريخ الأدبي كله، وهي قصة (مغامرات أليس في بلاد العجائب)[1]، وقد منحت هذه المجموعة فرصة النجاح للحكاية الخرافية الحديثة، ثم انطلق (أدب الأطفال) إلى عصره الذهبي في القرن العشرين فملأ حياة الأطفال في إنجلترا بالسعادة والمتعة والخيال الجميل.[2]

3- أدب الأطفال في الدانمراك:

إذا ذكرت الدانمراك ذكر (هانز أندرسون) (1805-1875) رائد أدب الأطفال في أروبا وأشهر كتاب الأطفال في العالم، وتتسم كتاباته بالنظرة الفلسفية، وتنطلق من مجموعة من القيم والمثل العليا.

وليس من كاتب ساحر خير من (هانز أندرسون) وقصصه حول الأشباح والجنيات والعفاريت، تجذبنا وتشدنا إليها لأنها تقابلنا مباشرة في نقطة خبراتنا، ولأنها تساعدنا على أن نتقبل أنفسنا كما هي على علاقتها بخيرها وشرها، وبجمالها وعيوبها، ويظهر ذلك في قصة (البطة القبيحة)، و(فتاة المباراة الصغيرة)، ولأنها تكشف لنا رؤية الآخرين كما هم في الحقيقة في الوقت الذي لا يرى هؤلاء الآخرون أنفسهم كما هي في حقيقتهم وواقعهم، ويبدو ذلك في قصة (ثياب الإمبرطور الجديدة)، وبالإضافة إلى رواياته للأطفال، كتب أندرسون شعرا مميزا للطفل يتسم بالسهولة ورشاقة الأسلوب، ولقد كرّمته الدانمارك فمنحته جائزة وهو في السابعة والعشرين من عمره.[3]

4- أدب الأطفال في ألمانيا:

(الأميرة النائمة)، (ليلى والذئب)، (بيضاء كالثلج)، (الساحرة الشريرة) ... حكايات شكلت وجدان الكثير من أطفال العالم، كتبها (الأخوان يعقوب وفلهلم جريم)، وضمناها في أول كتاب حقيقي للأطفال في ألمانيا وهو (حكايات الأطفال والبيوت) والذي ظهر الجزء الأول منه عام 1813م وبعده بعامين ظهر الجزء الثاني.

ويعتبر الأخوان جريم أول من استخدم مصطلح (كان ياماكان) واستقى الأخوان جريم حكاياتهما من الشعب الألماني نفسه دونما أي تشويه أو تحوير.[4]

---

[1]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص25.

[2]) علي الحّديدي: في أدب الأطفال، ص53.

[3]) ينظر: علي الحّديدي: في أدب الأطفال، ص55، محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص26.

[4]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص27.

ولذلك تعتبر الحكايات من التراث الألماني، وتعتبر ألمانيا حاليا من أولى الدول في الإهتمام بالإصدارات الخاصة بالأطفال وخاصة كتب الأطفال، ويقدر البعض عدد كتّاب الأطفال هناك بحوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة كاتب، وعدد دور النشر الخاصة بالأطفال بحوالي عشرين دارا، ويصدر عنها حوالي مائتي كتاب للأطفال سنويا[1].

ثانيا/ أدب الأطفال في بعض الدول الأسيوية:

1-أدب الأطفال في اليابان:

ألفت فيها كتب كثيرة وتعتبر (كيوكو أيواساكى) أشهر من ألف في كتب أدب الأطفال في اليابان؛ حيث ألفت للأطفال كتبا عن الحيوانات والطيور والأزهار وعن جمال الريف ومناظره الخلاّبة، وكان هدفها كما تقول تعليم الأطفال أهمية الطبيعة للناس، وأنّها إذا ما فقدت يصعب عليهم استردادها بل سوف تضيع إلى الأبد، وتستغل اليابان إمكاناتها الاقتصادية والتكنولوجية المتطورة في نتاج أدب جذاب وشيق للأطفال؛ حيث يوجد بها العديد من المؤسسات المتخصصة في هذا المجال، وخاصة في مجال النتاج المرئي والرسوم المتحركة.[2]

2-أدب الأطفال في باكستان:

بذلت جهود لمواجهة النقص في كتب الأطفال فكونت لجنة وطنية للكتاب عام 1965م وبدأت تصدر فهارس وإحصاءات عن الكتب عامة وعن كتب الأطفال خاصة؛ حيث تجاوزت كتب الأطفال أربعة آلاف كتاب، وزاد عدد دور النشر النشيطة في هذا المضمار على عشرين، ولكن عدد النسخ المطبوعة من الكتب قليل إذا قيس بعدد السكان، وهذا ناتج عن الفقر والأمية المنتشرين في هذا البلد ومع هذا فإنّ تاريخ أدب الأطفال في باكستان ليس حديثا؛ لأنّه عندما كتب (لويس كارول) في أوروبا روايته الثانية (أليس في المرآة) كتب (مولاى نزار أحمد) روايته (مرآة العروس) التي تعتبر أول عمل روائي للأطفال في باكستان باللغة الأوردية، وكذلك كان (مولاى محمد حسين آزاد) يكتب سلسلة من كتب الأطفال. وكذلك نشر (مولاى محمد إسماعيل) مجموعة من القصص

---

[1]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص27-28.

[2]) المرجع نفسه، ص32.

كتب الأطفال من بينهم أشعار وقصص، ثم نشأت دور نشر خاصة بكتب الأطفال وأصدرت بعض المجلات الخاصة لهم[1].

وكذلك ترك الشاعر المبدع (محمد إقبال) عددا من القصائد الخاصة بالأطفال ، ومن أهمها (عنكبوت وذباب)، (جبل وسنجاب)، (بقرة وغنم)، (دعاء الطفل) و (التعاطف) و(طائر وبراعة) و (استغاثة الطير) و(نشيد الأطفال الهنود)، وقصيدته (دعاء الطفل) نالت شهرة واسعة لأسلوبها ومعانيها الرائعة، وروحها الإنسانية.[2]

II. أدب الأطفال في العالم العربي:

1-في مصر القديمة:

عثر المنقبون عن آثار مصر القديمة في النصف الثاني من القرن 19م على أول تسجيل في تاريخ البشرية لأدب الأطفال وحياة الطفولة ومراحل نموها، ويرجع تاريخه إلى ثلاث آلاف سنة قبل الميلاد مكتوبا على أوراق البردى ومصورا على جدران المعابد والقصور والقبور، ومن هذه الكتابات والنقوش والصور أمكن للإنسان المعاصر أن يعرف ما كان يقوم به الأطفال في العصور القديمة من أنواع اللهو والتسلية واللعب، وأنواع العرائس واللعب الجميلة التي كانوا يلعبون بها، ويستطيع أن يقرأ القصص التي كانت ترويها الأمهات والمربيات للأطفال في قديم الزمان.[3]

والمتأمل لجدران المقابر والمعابد والقصور يجد قصصا مصورة للأطفال فهناك رسوم لأرنب يحرس الماعز، وقط يمشي على رجليه الخلفيتين حاملا عصا وأمامه مجموعة من الأوز، ولوحة لحمار يعزف على آله الهارب الموسيقية وغيرها.

كما هناك برديات تسجل قصصا للأطفال مثل قصة (جزيرة الثعبان) و(التاج الفيروزي) وغيرهما.

إلا أنّ أدب الأطفال في مصر القديمة كانت له أهداف أخرى غير التسلية في مقدمتها تربية الأطفال وتنشئتهم في إطار ثقافة وحضارة وطقوس دينية خاصة.[4]

---

[1]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص32.

[2]) المرجع نفسه، ص32.

[3]) ينظر:علي الحديدي: في أدب الأطفال، ص42، محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص35.

[4]) المرجع نفسه، ص36.

ويرى علي الحّديدي أنه إذا تأملنا فيما وصل إلينا من الحكايات المصرية القديمة للأطفال نجد أنها قد دونت في أسمى أسلوب فني، مما يدل على أنها مرت بمراحل التطور حتى وصلت إلى النضج الفني من الحديث والحكاية؛ ففيها أسلوب التكرار وحسن الانتقال بين الأحداث واستخدام ذلك كله استخداما مؤثرا في الأطفال، والعثور على هذه الحكايات وعلى عدد كبير من الفابولات وقصص الحيوان عند قدماء المصريين يدل على الاهتمام الكبير الذي كان يلقاه (أدب الأطفال) عندهم من ناحية، وعلى ثروة ضخمة من الحكايات كان يستمتع بها أطفال المصريين القدماء من ناحية أخرى.[1]

والذي يدعو إلى الدهشة أنه لم يصل إلينا ما يثبت أنّ أحدا بعد المصريين القدماء قد اهتم بتسجيل (أدب الأطفال) على مدى قرون طويلة وعديدة وحتى الأمم التي أسهمت بنصيب موفور في تراث العالم القصصي كالهند والفرس والعرب وشعوب الشرق الأوسط والإغريق، لم يسجل لنا التاريخ أنها عنيت بتأليف قصص خاصة بالأطفال، وما وصل إلينا من تراثها القصصي كان يحكى لتسلية الكبار، فقصص الحيوان التي أثرت عن الهند وشعوب الشرق الأوسط برموزها وأخلاقياتها، وأساطير اليونان بتعقيداتها وملاحمها المفرطة في الطول، وكتاب (كليلة ودمنة)برموزه السياسية والطائفية والشعوبية، وما ألف على شاكلته من عشرات المصنفات باللغة العربية، كل هذه المجموعات القصصية لم تكتب بادئ ذي بدء للصغار ولم يقصد بها تسليتهم، بل قصد بها مؤانسة الكبار.[2]

2-في العصر الجاهلي:

اهتم العرب في العصر الجاهلي بفن القص وتتبع أخبار وحكايات السابقين، وهناك بعض الكتب التي تؤكد ذلك، منها (كتاب التيجان في ملوك حيمر) لوهب ابن منبه، (أخبار اليمن وشعرائها وأنسابها) لعبيد بن شربه الجرهمى، (تاريخ الأمم والملوك) لابن جرير الطبري، (العقد الفريد) لابن عبد ربه، (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني، وقد قامت المرضعات في العصر الجاهلي بدور الرواي للقصص والحكايات للأطفال حتى سن العاشرة؛ حيث كانت العرب ترسل أطفالها إلى الصحراء مع مرضعات من البدو لتعويدهم على الاستقلالية والخشونة والغلظة.[3]

---

[1]) علي الحّديدي: في أدب الأطفال، ص43.

[2]) المرجع نفسه، ص45.

[3]) ينظر:علي الحّديدي: في أدب الأطفال، ص320، محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص36.

وحين يعود الأطفال من الصحراء، تروى لهم الحكايات في الخيام وأمامها، وهي قصص عن الشجاعة والفروسية وأمجاد القبيلة وحروبها.

ولا نجد فيم دون من التراث الأدبي الذي ينسب إلى العصر الجاهلي شيئا مما كان يحكى للأطفال، أو ما كانت تقصه المرضعات والجواري والمربيات من قصص في صور مبسطة للصغار، اللهم إلا بعض العظات، والوصايا للغلمان بقصد التعليم والتهذيب، وضاع أكثر (لعب الأطفال) في عصور ما قبل الإسلام في متاهات الصحراء، وبين الأطلال، إلا أنّ عصر الجاهلية مليء بالكثير من الأشعار الخاصة بالغناء للأطفال من مدح للولد والإعجاب به والدعاء للطفل، واستحسان مشابهة الطفل لأهله، وغيرها.[1]

ولقد ذكرت المصادر التاريخية والأدبية والثقافية عددا كبيرا من الأشعار في الجاهلية وكلها تعد من الأناشيد والأغاني الخاصة بعاطفة الأبوين نحو الأطفال أو المعاني المتعلقة بالصورة التي يتمناها الآباء لأطفالهم، أو بالمثل التي يريدون تنشئة الأطفال عليها، وفي كتاب (أغاني ترقيص الأطفال عند العرب) للمؤلف أحمد أبو سعد والصادر في بيروت عن دار العلم للملايين 1982م الكثير من الأشعار والأغاني الخاصة بالأطفال، منها على سبيل المثال:

غناء هند بنت عتبة لابنها معاوية حيث كانت تقول:

إن بنيّ معرق كريم محبب في أهله حليم

ليس بفاحش ولا لئيم ولا بطخرور ولا سئيم

صخر بنى فهر به زعيم لا يخلف الظن ولا يخيم.

وكذلك الأم التي تهدهد ابنها وتقول:

يا حبذا ريح الولد ريح الخزامى في البلد

أهكذا كل ولد ألم يلد مثلى أحد.

[1]) ينظر: محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال ، ص36.

لقد أدرك العرب القدماء بفطرتهم النقية الأصول التربوية التي تدخل الفرحة على قلوب أطفالهم، وذلك عندما قدموا لهم أدبا يوفر لهم صفاء النفس وهدوء الخاطر وراحة الجسم، فأكثروا من الشعر وأقلوا من النثر، لما فيه من عناء الحفظ وصعوبة التسجيل، عندما كانت الكتابة مقصورة على فئة من الناس إلى حد الندرة.[1]

3-في العصر الإسلامي:

تعتبر القصة من الأساليب الأكثر شيوعا في القرآن الكريم، والتي اعتمد عليها القرآن للموعظة والعبرة والتذكير، وهكذا ظهرت القصة الدينية بمجيء الإسلام ونزول القرآن كما جاءت أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لتحمل لناحكايات ومواعظ إصلاحية وتربوية.

ويخوض الإسلام حروبا ضد الكفر والشرك، وتحمل الغزوات والمعارك الحربية صور للبطولة والشجاعة والتضحية في سبيل الله فترى حولها الحكايات والقصص.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان الآباء والأمهات والمعلمون المسلمون يروون لأجيال الأطفال التي لم تعاصر النبي الكريم قصصا عن حياته وسيرته ومعجزاته، وأخلاقه وجهاده وقصص أخرى عن بطولات المسلمين الأوائل من صحابته الذين أسهموا في نشر دعوة الإسلام.[2]

وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت المساجد ساحة للعلم والثقافة وتداول أمور المسلمين، ولم يخل الأمر من استخدام قصص الأولين من الصحابة في الوعظ والإرشاد ونشر الدعوة واستمر ذلك في العصر الأموي حيث كانت تستخدم القصص كوسيلة لنشر الدعوة السياسية.[3]

أما في العصر العباسي فقد أدى الاختلاط بالأعاجم إلى امتزاج الثقافة الإسلامية بثقافات الفرس والروم واليونان وغيرهم ممن وصل الفتح الإسلامي إلى بلادهم، كذلك امتلأت البيوت في هذا العصر بالجواري اللواتي كن يحكين القصص للأطفال، وهنا بدأت تراجم (كليلة ودمنة) و(ألف ليلة وليلة)، وكان من أهم القصص التي ظهرت قصة (حي ابن يقظان) لابن طفيل، وقصة (سيف ابن ذي يزن) و قصة (عنترة ابن شداد).[4]

---

[1]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص37.

[2]) المرجع نفسه، ص38.

[3])المرجع نفسه، ص38.

[4])المرجع نفسه، ص38.

ويمكن القول أن القصص في العصور الإسلامية كتبت للكبار رغم أنها كانت تروى للصغار أيضا.

ومن الباحثين الذين اهتموا بأدب الأطفال في الإسلام وأظهروا اهتمام الاسلام بأدب الأطفال محمد حسن بريغش في مؤلفه (أدب الأطفال –تربية ومسؤولية)؛ حيث يدعو المهتمين إلى البحث عن جذور أدب الأطفال في مصادرنا الأساسية في كتاب الله عزّ وجلّ وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي أحداث السيرة وكتب التاريخ فيستطرد قائلا: [1]

لعل بعض الناس يستنكرون أن نبحث عن أصول هذا الأدب في مثل هذه المصادر، لأنّ ما فيها من نصوص بعيد عن الأطفال و أدب الأطفال وهو تشريع وأحكام وتوجيهات ومواعظ، وأحداث وروايات وأين هذا كله من أدب الأطفال، وبعد أن يؤكد على وجوب البحث في تاريخنا وتراثنا الإسلامي للكشف عن كنوز ومعالم حضارتنا، يقول:

من هذا المنطلق ننظر إلى موضوع أدب الطفل فنرى كثيرا من الآيات الكريمة والسور الصغيرة تناسب سن الطفولة، وتعد نموذجا رائدا وموجها يستمد منه هذا الأدب تصوراته، ويتخذ منه الأديب نبراسا يهتدي بنوره.[2]

4–في مصر الحديثة:

مع نهضة مصر الحديثة في عصر محمد علي كان للأدب نصيب من الازدهار والتطور، وبدأ أدب الأطفال يأخذ طريقه إلى الانتشار بعد عودة البعثات التي أرسلها محمد علي إلى أوروبا وما أتيح لها من الإطلاع على مصادر الأدب الأوربي.

ويأتي رفاعة الطهطاوي كأول من اهتم بأدب الأطفال خاصة في أهميته التعليمية؛ حيث كان مسؤولا عن التعليم في مصر بعد عودته من فرنسا، فأمر بترجمة كتب الأطفال الأجنبية ليقرأها الأطفال المصريون، وأدخل قصصا مثل (عقلة الأصبع) و (حكايات الأطفال) إلى مناهج التعليم في مدرسة (المبتديان) الابتدائية.[3]

وإذا كان رفاعة الطهطاوي أول من قدم للأطفال العرب أدبا مدونا بالعربية، وإن كان مترجما عن الإنجليزية، فإنّ أمير الشعراء أحمد شوقي أول من ألف أدبا للأطفال باللغة العربية، فكان شوقي بأغنياته وقصصه الشعرية التي

---

[1]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص39.

[2]) محّمد حسن بريغش: أدب الأطفال– أهدافه وسماته–، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ /1996م، ص53.

[3]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص39.

كتبها للأطفال رائدا لأدب الأطفال في اللغة العربية، وأول من كتب للأطفال العرب أدبا يستمتعون به ويتذوقونه، وقد استحدث شوقي في اللغة العربية نوعين من فنون أدب الأطفال المكتوبة وهو القصة الشعرية و الأدبية، وقد كتب للأطفال من الفن القصصي أكثر من ثلاثين قصة شعرية، ونظم لهم عشر مابين أنشودة ومقطوعة.ومن القصص التي حكاها شوقي على ألسنة الحيوانات والطيور (الديك الهندي)، (الصياد والعصفورة) و (الدجاج البلدي).[1]

لقد كان شوقي بأناشيده وأغانيه وقصصه التي كتبها على لسان الحيوان والطير للأطفال الصغار رائدا في الكتابة للأطفال؛ حيث كان أول من قدم أدبا عربيا خاصا بالأطفال يتذوقونه ويستمتعون بقراءاته، وقد وجه شوقي النداء للأدباء العرب من أجل الاهتمام بأدب الأطفال حتى يكون للأطفال العرب أدبا مكتوبا باللغة العربية شعرا ونثرا يخاطب عقولهم كما هو الشأن عند أطفال البلدان الأوروبية.[2]

وبعد شوقي وعلي فكري يأتي اثنان من رواد الأدب العربي هما (محمد الهروای) و (كامل الكيلانی).

ويمكن القول أنّ نتاج أدب الأطفال في بداياته الأولى في مصر تمحور عند ظاهرتين أساسيتين هما:[3]

أولاهما: الترجمة والاقتباس والمحاكاة عن الآداب الأجنبية في الشعر والنثر.

والثانية:التأليف الشعري والقصص التمثيلي (المسرحي).

فالظاهرة الأولى كان رجالها يحاكون ويقتبسون ويترجمون عن الآداب الأجنبية في مجال أدب الأطفال والفتيان، وبخاصة حكايات لافونتين وأيوب وغيرهما، أما الظاهرة الثانية فقد بدأ رجالها ينشئون في بيئتهم العربية منظومات شعرية وحكايات قصصية ومسرحيات دينية خاصة بالأطفال في أصالة ووعي كبيرين[4].

لقد بدأت الظاهرة الأولى في الزوال التدريجي بتأثير النمو المطرد لحركة التأليف الواسعة الممثلة للظاهرة الثانية.

وبجانب مصر، كانت هناك محاولات رائدة وجادة لخلق أدب خاص بالطفل في بعض الدول العربية منها على سبيل المثال: سوريا، العراق، الكويت...

---

[1]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال ، ص39-40.

[2]) المرجع نفسه، ص40-41.

[3]) المرجع نفسه ص43.

[4]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص44.

5-أدب الأطفال في سوريا:

أصدر الشاعر الكبير (عبد الكريم الحيدري) ديوانه (حديقة الأشعار المدرسية) و الشاعر (أبو سلمى عبد الكريم الكرمى) الذي صدر له ديوان (أغاني الأطفال) وأيضا عادل أبو شنب الذي كتب مسرحية (الفصل الجميل) وغيرهم من الكتاب والشعراء الذين حاولوا سد الفراغ في مجال الأطفال العرب.

أيضا نجد الكاب السوري الكبير (زكريا تامر) له باع طويل في الكتابة للطفل حيث صدر له حوالي مائة قصة للأطفال ترجمت معظمها إلى العديد من اللغات الأجنبية، ويعتبر زكريا تامر من رواد أدب الأطفال العربي.

6-أدب الأطفال في العراق:

صدرت مجلة (التلميذ العراقي) سنة 1922م وهي من أوائل المجلات التي صدرت للطفل في الوطن العربي، وبرزت العراق بإصداراتها المتوالية لمجلات الأطفال مثل (الكشاف العراقي) سنة 1924م، (الظريف) سنة 1968م و(مجلتي) سنة 1969م.[1]

7-أدب الأطفال في الكويت:

في الكويت كتب (محمد الفايز) قصته (الكلب) وقصة (ثوب الصيد) وكتب (محمد كعوش) قصتي (انتقام الغزال) و(عودة المنتصر).

وتعتبر الكويت من الدول العربية الرائدة في مجال إصدار مجلات الأطفال، وتأسست بها (الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية عام 1980م) والتي يقع ضمن اهتماماتها الارتقاء بأدب الأطفال.[2]

خاتمة:

ولعلّ من أهم النتائج التي توصلنا إليها بعد دراستنا هذه ما يلي:

-تعدّ الحضارة المصرية الوحيدة من بين الأمم القديمة التي سجلت حياة الطفولة وأدب الأطفال، سجلتهما في نقوش وصور على جدران القصور والقبور وكتبتهما في برديات بقيت على مرّ السنون.

---

[1]) محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ص44.

[2]) المرجع نفسه، ص44-45.

– لم يتبلور أدب الأطفال بمفهمومه الحالي إلا في بدايات القرن السابع عشر في فرنسا.

–تعدّ حكايات (أمي الأوزة) و(حكايات سندريلا) و(الجميلة النائمة) للكاتب الفرنسي الكبير تشارلز بيرو عام 1697م أول قصص الأطفال بالمعنى العلمي.

–انتشار القصص الشعبي الشرقي وحكايات ألف ليلة وليلة في أوروبا في القرن السابع عشر دفع الأوروبيين إلى أن يبحثوا في تراثهم عن مثيل لهذا اللون من الأدب.

– لم تكن الكتابة للأطفال في بداية ظهورها مألوفة أو مستساغة بين الأدباء، بل كان يظن أنها تنزل من قدر الأديب أو الفنان.

–تعدّ قصة (أليس في بلاد العجائب) للويس كارول من أشهر القصص الإنجليزية التي كتبت للأطفال مباشرة.

–أدب الأطفال في مصر القديمة كانت له أهداف أخرى غير التسلية في مقدمتها تربية الأطفال وتنشئتهم في إطار ثقافة وحضارة وطقوس خاصة.

–القصص في العصور الإسلامية كتبت للكبار رغم أنها تروى للصغار أيضا.

–يعدّ أمير شوقي أول من ألف أدبا للأطفال باللغة العربية؛ فكان شوقي بأغنياته وقصصه الشعرية التي كتبها للأطفال رائدا لأدب الأطفال في اللغة العربية.

–اهتم الكتاب العرب بأدب الأطفال أيضا في سوريا والعراق والكويت...فأصدروا العديد من المؤلفات والمجلات التي تهتم بأدب الطفل والطفولة.

قائمة المصادر والمراجع:

– عبد الفتاح أبو معال: أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم و تثقيفهم، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأدرن، 2005م.

–علي الحّديدي: في أدب الأطفال، ط4، مكتبة الأنجلو المصرية، 1988.

– محّمد حسن بريغش: أدب الأطفال– أهدافه وسماته–، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1416هـ /1996م.

– محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1425هـ/ 2004م.